وأظن أن السبب الحقيقي الذي يدفع الناقد العربي إلى عملية التركيب هذه، خاصة في تبنيه للمناهج الغربية هو بالذات شعوره بأن الكتابة الإبداعية العربية ليست هي الكتابة الإبداعية الغربية. لذلك فهو يركب من الأدوات المنهجية المتاحة ما يراه ملائماً لتحليل إبداع محيطه الخاص، وإنه مجبر ـ في جميع الحالات ـ على أن يستفيد من المناهج الغربية لأنها تعكس دون شك معرفة أعمق وأكثر تطوراً من المعرفة النقدية العربية، خصوصاً إذا نحن عرفنا بأن النقد الروائي في العالم العربي هو وليد حديث، متصل في ولادته وسيرورته على الدوام بحبلٍ سُرّي مع النقد الروائي الغربي.

ماذا تبقى للناقد العربي إذن؟ أين هو المجال الذي يمكنه فيه أن يبرز عبقريته وقدراته الخاصة؟ إن الناقد العربي لا يستطيع أن يؤكد ذاته إلا من خلال منظور تركيبي جديد يراه ضرورياً لتطويع النقد الغربي من أجل دراسة الأعمال الإبداعية العربية. إن التمثل والتركيب هما قدرُ الناقد العربي ـ على الأقل في الوقت الراهن ـ وعليه أن يظهر من خلالهما إسهام العبقرية العربية في مسيرة النقد المعاصر (العالمي)[77].

ومن جملة قضايا التركيب التي أريد أن أعالجها في هذه الدراسة ما يتعلق بدواعي الجمع بين مفاهيم البنيوية التكوينية وبعض مفاهيم سوسيولوجيا النص الروائي كما جاءت عند الناقد الروسي «باختين».

لقد واجهتُ شخصياً انتقاداً يأخذ عليّ إدراجي لمفهوم الحوارية الباختينية ضمن مرحلة الفهم Comp-rehension عند «لوسيان غولدمان» في الكتيّب المشار إليه أعلاه. وأجدني مضطراً في هذه الدراسة إلى توضيح دواعي إدماج الحوارية في إطار مرحلة الفهم، لأن القضية ـ في الواقع ـ لا تهمني وحدي، فهي مشكلة راهنة يواجهها الناقد العربي كل يوم وهو يتابع المسار الحثيث لتطور المناهج الغربية المعاصرة.

أقول منذ البداية إنني أفهم الحوارية Dialogisme عند باختين فهماً خاصاً (ليس الفهم الذي يجب على كل ناقد أن يأخذ به) ولكن الفهم الذي أقتنع به، وأستطيع في الوقت نفسه أن أوضحه وأقدم دلائل كافية لشرحه.

يجب أوّلاً إبطال الفكرة الشائعة التي تقول إن باختين (يتجاوز) ـ عندما يقول بفكرة

---

(77) ان قانون التركيب ـ في الواقع ـ هو الذي يحكم أي محاولة لاضافة جديدة في مجال تطور نظريات النقد الأدبي، وذلك حتى بالنسبة للناقد الغربي نفسه. الفرق الأساسي كامن في أن الناقد الروائي الغربي يستطيع أن يرجع إلى أرسطو وأفلاطون، بينما لا يستطيع الناقد الروائي العربي أن يتخطى إلى ما وراء النصف الثاني من القرن التاسع عشر، لأن تاريخه الخاص لا يسعفه ما دام يخلو من محاولات نقد القصة أو الرواية (هناك اشارات عامة فقط تخص السرد بشكل عام، ولكنها لا تصل إلى درجة تأملات أفلاطون في الجمهورية أو أرسطو في فن الشعر).